القاعدة الثانية(1)
أسماء الله تعالى أعلام (2) وأوصاف (3)

(1)هذه القاعدة لبيان أن أسماء الله أعلام وأوصاف بخلاف أعلام البشر فإنها أعلام محضة ولهذا يقول الدارمي في رده على بشر المريسي (1/162) وقد يسمى الرجل حكيماً وهو جاهل ، وحكماً وهو ظالم ، وعزيزاً وهو حقير ، وكريماً وهو لئيم ، وصالحاً وهو طالح ، وسعيداً وهو شقي ، ومحموداً وهو مذموم ، وحبيباً وهو بغيض ، وأسداً ، وحماراً ، وكلباً ، وجدياً ، وكليباً وهراً وحنظلة وعلقمة وليس كذلك ا 0 هـ ونظير هذا شيئان :

أ) أعلام النبي صلى الله عليه وسلم فإنها أعلام وأوصاف

انظر في ذلك شرح شفا القاضي عياض للملا علي قاري (1/485،514) ، ونسيم الرياض شرح شفا القاضي عياض للخفاجي (2/380،392) والمواهب اللدنية للقسطلاني (2/10) وشرحها للزرقاني (3/112) وسبل الهدي والرشاد للصالحي (1/400)

قال ابن القيم في زاد المعاد (1/86) عن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم أنها كلها نعوت ليست أعلاماً محضة لمجرد التعريف بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال ا 0 هـ

وقال الزرقاني في شرح المواهب (3/113) عن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم أن كلها تدل على معان شريفة ولذا قال ابن القيم أن محمداً علم وصفة في حقه صلى الله عليه وسلم وان كان علماً محضاً في حق غيره وهذا شأن أسمائه كأسماء الله أعلام دالة على معان هي أوصاف مدح فلا تضاد فيها العلمية الوصفية ولما كانت الأسماء قوالب المعاني ودالة عليها اقتضت الحكمة أن يكون بينها و بينها ارتباط وتناسب وأن لا تكون معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها فإن حكمة الحكيم

تابى ذلك والواقع يشهد بخلافه بل للأسماء تأثير في المسميات وللمسميات تأثير في أسمائها في الحسن والقبح والثقل واللطافة والكثافة كما قيل

وقل إن أبصرت عيناك ذا لقب **** إلا ومعناه ان فكرت في لقبه

ب)أسماء القرآن وانظر في ذلك البرهان للزركشي (1/273) والاتقان للسيوطي (1/159) والتبيان لطاهر الجزائري اعتنى به الشيخ أبو غدة رحمه الله ص 155 ، والتدمرية لشيخ الاسلام وشرحها لفالح آل مهدي ص 226

(2) العلم هو الذي يعين مسماه مطلقاً من غير قرينة وقد قال ابن مالك :

اسم يعين المسمى مطلقاً **** علمه كجعفر وخرنقا

(3) سيأتي معنى الوصف والفرق بينه وبين الاسم في الملحق

أعلام باعتبار دلالتها على الذات (1) وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني وهي بالاعتبار الأول (2) مترادفة (3) لدلالتها على مسمى واحد وهو الله عز وجل وبالاعتبار الثاني (4) متباينة (5) لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص فـ " الحي العليم القدير السميع البصير الرحمن الرحيم العزيز الحكيم " كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى

---

(1) الذات لها معان سنذكرها في الملحق والمراد هنا ما قام بنفسه 0

(2) أي باعتبار دلالتها على الذات فإنها مترادفة لأن العليم بمعنى السميع بمعنى البصير وهكذا لدلالته على مسمى واحد

(3) الترادف هو الألفاظ الكثيرة لمعنى واحد مثل : أسد وليث ، وقمح وبر وحنطة وهكذا

انظر شرح تنقيح الفصول للقرافي ص 31 وشرح المنهاج للجاربردي (1/306) وشرح مختصر ابن الحاجب للأصفهاني (1/175)

(4) أي باعتبار ما تدل عليه من المعاني فإنها متباينة لأن السمع غير البصر وهكذا

قال في مراقي السعود :

اللفظ والمعنى إذا تعددا **** معاً تباين كراح واغتدا

انظر شرح الولاتي على المراقي ص 24و انظر شرح النونية لابن عيسى (2/252)

(5) التباين هو الاختلاف بين الألفاظ باعتبار تعدد معناها 0

مثل : حديد ، كتاب ، سماء ، سيف

انظر توضيح المنطق للمدلوح ص 30

وقال في مراقي السعود المطبوع مع شرح الولاتي ص 26:

وما يرى لنوع ذا يخالف **** كالبر والقمح هو المرادف

وليس منه ما به لمقصد **** زيادة كالسيف والمهند

لكن معنى الحي غير معنى العليم غير معنى القدير وهكذا (1)

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن عليه (2) كما في قوله تعالى (وهو الغفور الرحيم) [الأحقاف :8]

وقوله : (وربك الغفور ذو الرحمة) (3) [الكهف : 58] فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال : عليم إلا لمن له علم ولا سميع

---

(1) يقول الإمام ابن القيم في كتاب الأسماء الحسنى الذي جمعه يوسف بن علي ص 255:

اختلف النظار في هذه الأسماء : هل هي متباينة نظراً إلى تباين معانيها وأن كل اسم يدل على معنى غير ما يدل الآخر أم هي مترادفة لأنها تدل على ذات واحدة فمدلولها لا تعدد فيه وهذا شأن المترادفات ؟ والنزاع لفظي في ذلك 0

والتحقيق أن يقال : هي مترادفة بالنظر إلى الذات متباينة بالنظر إلى الصفات وكل اسم منها يدل على الذات الموصوفة بتلك الصفة بالمطابقة و على أحدهما وحده بالتضمن وعلى الصفة الأخرى بالالتزام 0

وانظر التدمرية لشيخ الإسلام وشرحها لفالح آل مهدي ص 226

(2) ذكر المؤلف الأدلة على أن أسماء الله أعلام وأوصاف من القرآن ولاجماع أهل اللغة والعرف وسيأتي للمسألة مزيد من التفصيل في الملحق 0

انظر تمهيد الأوائل للباقلاني ص 228 وتبصرة الأدلة في أصول الدين لأبي المعين النسفي (1/201إلى 209)

(3) والشاهد من الآية قوله (ذو الرحمة) وقد ذكر المفسرون أن معناها : صاحب الرحمة أي أن الرب موصوف بها ، ففرق بين الرحيم وبين (ذو الرحمة) تأكيداً لإثبات الصفة لله

يقول الآلوسي في تفسيره (15/305) : وعلى هذا يكون ذو الرحمة أبلغ من كل واحد من الرحمن الرحيم وإن كانا معا أبلغ منه ولذا جاء بهما في البسملة دونه ، ومن أنصف لم

يشك في أن قولك فلان ذو العلم أبلغ من قولك فلان عليم بل ومن قولك : فلان العليم من حيث أن الأول يفيد أنه صاحب ماهية العلم ومالكها ولا كذلك الأخيران ا 0هـ

وقد أول الخلف صفة الرحمة إما بالإنعام أو بإرادة الأنعام 0

وانظر الرازي (21/121) وحاشية الشهاب على البيضاوي (6/198)

إلا لمن له سمع ولا بصير إلا لمن له بصر وهذا أمر أبين من أن يحتاج

إلى دليل (1) .

وبهذا علم ضلال من سلبوا (2) أسماء الله تعالى معانيها مـن أهل التعطيل (3) وقالوا : " إن الله تعالى سميع بلا سمع وبصير بلا بصر وعزيز بلا عزة وهكذا " (4)

---

(1) وهو كما قال المؤلف حفظه الله ، وللنسفي في التبصرة تفصيل في ذلك 0

وقال في مراقي السعود :

وعند فقد الوصف لا يشتق **** وأعوز المعتزلي الحق

يعني أن الذات إذا لم تتصف بالمصدر فلا يصح الاشتقاق لها منه فلا يصح اشتقاق الضارب لمن لم يقم منه ضرب أصلاً ولا اشتقاق الأسود لمن لم يقم به سواد خلافاً للمعتزلة القائلين بجواز ذلك مع عدم اتصاف الذات بالمصدر

انظر نثر الورود للشنقيطي (1/129) وأقاويل الثقات للشيخ مرعي الكرمي ص 67

(2) السلب بمعني النفي أي نفوا المعاني والصفات من أسماء الله

انظر التحفة المهدية شرح التدمرية لفالح المهدي ص 50

(3) من المعتزلة والفلاسفة وغيرهما الذين نفوا الصفات

والتعطيل لغة : التفريغ وفي الاصطلاح هنا :إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات أو إنكار بعضه فهو نوعان :

I- تعطيل كلي كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات وغلاتهم ينكرون الأسماء أيضاً

II- تعطيل جزئي كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض وأول من عرف بالتعطيل من هذه الأمة هو الجعد بن درهم 0

(4) ذهب جمهور المعتزلة إلى أن الله عالم بالذات لا بعلم زائد على الذات وهكذا في بقية الصفات ولهذا قالوا : عليم بلا علم ، سميع بلا سمع إذ لو أنكروا أن الله يعلم لكفرهم المسلمون فهم يثبتون الاسم والأثر وينفون الصفة كما سيأتي في القاعدة الثالثة 0

وذهب أبو الهذيل العلاف إلى أن الله عالم بعلم وعلمه ذاته ، قادر بقدرة وقدرته ذاته ، حي بحياة وحياته ذاته ، كذا في الملل للشهرستاني (1/50) ونقل الأشعري في المقالات (1/265) عن أبي الهذيل أنه يقول : لله علم هو هو وقدرة هي هو وحياة هي هو وسمع هو هو وكذلك في سائر صفات الذات

قال الشهرستاني في الملل (1/50) =

وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلـزم تعدد القدماء (1) وهذه العلة عليلة بل ميتة لدلالة السمع (2) و العقل على بطلانها 0

* أما السمع : فلأن الله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنه الواحد الأحد فقال تعالى (إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدىء ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد) (3)[البروج : 12-16]

=والفرق بين قول القائل : عالم بذاته لا بعلم وبين قول القائل : عالم بعلم هو ذاته : أن الأول نفي الصفة والثاني إثبات ذات هو بعينة صفة أو إثبات صفة هي بعينها ذات

وقد ذكر الجويني في الإرشاد ص 101 أن قول أبي الهذيل يعد من فضائحه وتناقضاته

وسيأتي التعليق على مسألة هل الصفة زائدة على الذات بعد الانتهاء من قواعد الأسماء عند كلامنا على أن الأسماء ليست مخلوقة

(1) ولهذا كان يقول واصل بن عطاء كما في الملل (1/46) : إن من أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت إلهين

ونقل الشهرستاني في نهاية الأقدام في علم الكلام (ص : 191 : إن المعتزلة تأثروا بالفلاسفة في نفيهم للصفات ا0هـ .

والقديم : يطلق على أمرين :

I- المتقدم على غيره فيقال : هذا قديم للعتيق 0

II- الأزلي فيقال : الله قديم أي أزلي

ولهم حجة أخرى هي أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه وسيأتي الرد عليها 0

(2) السمع هو القرآن والسنة وسيمر بك هذا التعبير كثيراً فتنبه له قاله المؤلف 0

(3) في هذه الآية وصف الله نفسه بالبطش وأنه الذي يبدىء ويعيد وأنه الغفور الودود وأنه صاحب العرش وأنه المجيد وأنه الفعال 0

ملاحظة : اختلف القراء في كلمة المجيد فقرأ نافع وعاصم وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالرفع على أنه صفة لقوله (ذو) وقرأ حمزة والكسائي والمفضل عن عاصم المجيد بالخفض على أنه نعت للعرش و هو قول الأزهرى كما في كتابه القراءات (2/763) واستظهره ابن أبي مريم في الموضح (

3/1356) أو أنه صفة (لربك) كما هو قول أبي على الفارسي في الحجة (6/1393)

وانظر الخلاف في الكشف لمكي القيسي (2/369) ومشكل إعراب القرآن لمكي (2/809) والفريد للهمداني (4/653)

وقال تعالى : (سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى * والذي أخرج المرعى * فجعله غثاءً أحوى) (1)[الأعلى : 1-5] ففي هذه الآيات الكريمة أوصاف كثيرة لموصوف واحد ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء 0

* وأما العقل : فلأن الصفات ليست ذوات (2) بائنة (3) من الموصوف حتى يلزم من ثبوتها التعدد وإنما هي من صفات من اتصف بها فهي قائمة به وكل موجود (4) فلابد له من تعدد صفاته ففيه صفة الوجود (5)

---

(1) فوصف نفسه بأنه الأعلى وأنه الذي خلق وأنه الذي سوى وقدر وهدى وأخرج المرعى

(2) ذوات : خبر ليس منصوب بالكسرة 0

(3) أي منفصلة .

(4) (أي حقيقة كما سيأتي في القاعدة الأولى من قواعد الصفات ، إذ أن الوجود قسمان

أ) وجود ذهني وهو الذي يكون في الأذهان كالتصورات والخيالات التي تدور في النفس

ب) وجود خارجي ويسمى بالوجود العيني وهو الوجود المادي للشيء المتشخص في الأعيان كالشجر والحجر .

انظر تعريفات الجرجاني ص 104، كشاف التهانوي (4/301)ومنظومة السبزواري مع شرحها للمرتضي المطهري (

1/205) والأجوبة المرضية لتقريب التدمرية لبلال الجزائري ص 35

(5) ظاهر كلام المؤلف أن الوجود صفة لله ومشى عليه السفاريني في اللوامع (1/42) وللناس في ذلك أقوال :

I) أن الوجود صفة كما ذكر المؤلف وهو مذهب الرازي .

II) أن الوجود صفة للحادث دون القديم وهو قول الفلاسفة .

V) إن الوجود ليس صفة بل هو عين الذات ليس بزائد عليها والذات ليست بصفة لكن لما كان الوجود توصف به الذات في اللفظ فيقال ذات مولانا عز وجل موجودة صح أن يعد صفة على الجملة وهو مذهب الأشعري 0

انظر شرح أم البراهين للسنوسي مع حاشية الدسوقي ص 4 ، ودرء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام (1/170) ط 0 دار الكتب العلمية ، وحاشية الباجوري على السنوسية ص 51

وكونه واجب الوجود أو ممكن الوجود (1) وكونه عيناً قائماً بنفسه أو وصفاً في غيره (2)

---

(1) واجب الوجود هو الذي لا يتصور في العقل عدمه كوجود الله وممكن الوجود أو جائز الوجود هو الذي يتصور في العقل عدمه ووجوده ككل المخلوقات .

انظر لوامع الأنوار للسفارني (1/58)

(2) إذاً كل موجود لابد له من تعدد صفاته فما دام أنه موجود فلابد من تعدد صفاته وأقلها هي :

I- صفة الوجود 0

II- كونه واجب الوجود وهو الرب أو جائز الوجود وهو المخلوق 0

ج - كونه عيناً قائماً بنفسه أووصفاً قائماً في غيره 0

[الدهر ليس من أسماء الله]

وبهذا أيضاً علم أن "الدهر" ليس من أسماء الله تعالى لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى (1) ولأنه اسم للوقت والزمن (2)

قال الله تعالى عن منكري البعث : (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) [الجاثية : 24] يريدون مرور الليالي والأيام 0

فأما قوله صلى الله عليه وسلم : " قال الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار " (3) فلا يدل على أن الدهر من أسماء الله تعالى وذلك أن الذين يسبون الدهر إنما يريدون الزمان الذي هو محل الحوادث لا يريدون الله تعالى (4) فيكون معنى قوله : " و أنا الدهر " (5) ما فسره بقوله : " بيدي الأمر أقلب الليل والنهار "

---

(1) هذا هو الدليل الأول على أن الدهر ليس اسما لله إذ أن أسماء الله حسنى كما سبق وتتضمن المعاني أما الدهر فاسم جامد 0

(2) وقيل أن الدهر الأبد المحدود ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (6/191)

وهو ما عبر عنه بالزمان الطويل ، ذكره الزمخشري في الفائق (1/387)

(3) رواه البخاري برقم (4826) ، (6181) ، (7491) في مواطن من كتابه ورواه مسلم في صحيحه (5/548) من نسخة المفهم 0

(4) قال ابن الأثير في النهاية (2/144):

كان من شأن العرب أن تذم الدهر وتسبه عند النوازل والحوادث فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذم الدهر وسبه أي لا تسبوا فاعل هذه الأشياء فإنكم إذا سببتموه وقع السب على الله لأنه الفعال لما يريد لا الدهر .

(5) الرواية الصحيحة المشهورة برفع الدهر

وانظر الخلاف فيه في المفهم للقرطبي (5/548)

فهو سبحانه خالق الدهر وما فيه (1) وقد بين أنه يقلب الليل والنهار وهما الدهر ولا يمكن أن يكون المقلب (بكسر اللام) هو المقلب (بفتحها) وبهذا تبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مراداً به الله تعالى (2)

---

(1) في تأويل وأنا الدهر أكثر من وجه في التقدير :

أ) أنا مدبر الأمور ففي الكلام محذوف تقديره : مدبر الدهر وليس هذا تأويلاً لأنه بدليل والدليل إنه لا يمكن أن نجعل الخالق الفاعل هو المخلوق المفعول 0

ب) أنه على تقدير : صاحب الدهر

(٧) التقدير مقلب الدهر ا0هـ من فتح الباري لابن حجر وانظر معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد ص 265 ومنهج ابن حجر في العقيدة لمحمد بن اسحاق 0

(2) في هذا رد على ابن حزم وطائفة ممن أثبتوا اسم الدهر لله كما سيأتي وسيأتي حكم من يسب الدهر في فتوى للشيخ ابن عثيمين في الملحق 0

وبهذا يتبين لنا أنه لا يجوز لأحد أن يدعو ويقول : يا دهر ارحمني لأنه أن نوى الدهر ذاته فقد كفر وأشرك بالله وإن نوى الله فقد دعا بغير اسم من أسمائه 0

وقد ذكر ابن حزم أن الدهر اسم لله في المحلى (8/31) 0

ملحق القاعدة الثانية

ذكرنا في الحاشية على القاعدة الثانية أننا سنفصل الكلام على عدة مسائل هي :

1- الفرق بين الاسم والصفة .

2- تقرير أن الأسماء أعلام وأوصاف .

3- معاني الذات .

4- حجة المعطلة والرد عليها .

5- الدهر .

أولاً : الفرق بين الاسم والصفة (1)

إن كل اسم يتضمن صفة ، ولا تتنافى اسميته مع وصفيته فكل اسم صفة ، وليس كل صفة اسماً ، لأن بعض الصفات لا يشتق منها أسماؤه : كبعض الصفات الذاتية – مثلاً – كاليد ، والعين ، فلا يؤخذ منها أسماء قال ابن القيم – رحمه الله :

" أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت ، فإنها دالة على صفات كماله ، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه ، لا تنافي اسميته وصفيته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورود الاسم العلم " وكذلك فإن الأسماء مشتقة من الصفات– إذ الصفات مصادر الأسماء الحسنى 0

---

(1) نقلاً عن كتاب أسماء الله لعبد الله الغصن ص 139

وأما الفرق بين الاسم والصفة فإنه يتضح في كون الأسماء تدل على الذات مع دلالتها على صفات الكمال ، أما الصفات فإنها تدل على معنى قائم بالذات فقط 0

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن الفرق بين الاسم والصفة ، فأجابت بما نصه :

" الحمد لله وحده ،والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ، وبعد : أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به ، مثل : القادر ، العليم ، الحكيم ، السميع ، البصير ، أما الصفات فهي نعوت الكمال القائمة بالذات كالعلم والحكمة والسمع والبصر فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله ، وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر فالاسم دل على أمرين ، والصفة دلت على أمر واحد

ويقال : الاسم متضمن للصفة ، والصفة مستلزمة للاسم....الخ " اهـ

وتتمة لهذا الأمر فإننا سنتكلم عن ضابط الأسماء الحسنى

في معرفة ضابط الأسماء الحسنى

وإن من أهم ما ينبغي أن يعنى به الدارس لباب الأسماء الحسنى هو معرفة ضابط الأسماء الحسنى وحدها ، وذلك لما يحويه هذا الأمر من أهمية وفائدة عظيمة 0

وهناك أربعة مناهج لمعرفة ذلك هي : (1)

المنهج الأول :

الاعتماد على العد الوارد في روايات حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وبالأخص طريق الوليد بن مسلم ، عند الترمذي وغيره ، وذلك لاعتقادهم بصحة حديث الأسماء وتعدادها 0

المنهج الثاني :

الاقتصار على ما ورد من الأسماء بصورة الاسم فقط أي ما ورد إطلاقه وهذا منهج ابن حزم في عد الأسماء 0

قال عنه ابن حجر (فإنه – أي ابن حزم – اقتصر على ما ورد فيه بصورة الاسم لا ما يؤخذ من الاشتقاق كالباقي من قوله { ويبقى وجه ربك } [الرحمن : 27] ولا ما ورد مضافاً كالبديع من قوله { بديع السموات والأرض } [البقرة : 117]

المنهج الثالث :

منهج المتوسعين الذين اشتقوا من كل صفة وفعل اسما ولم يفرقوا بين البابين أي باب الأسماء وباب

الصفات بل إنهم يدخلون ما يتعلق بباب الإخبار أحياناً 0

---

(1) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله د 0 محمد خليفة التميمي ص 35 وما بعده

المنهج الرابع :

منهج المتوسطين الذين يتوسطون بين أصحاب المنهج الثاني والمنهج الثالث فلا هم الذين حجروا تحجير ابن حزم ولا هم الذين توسعوا توسع ابن العربي وأمثاله 0

وهذا المنهج هو الأشهر والأكثر تطبيقاً عند أهل العلم ، فهم حافظوا على خاصية هذا الباب وبالتالي جعلوا شروطاً لاشتقاق الاسم من الصفة وهذه الشروط دلت عليها النصوص (1)0

---

(1) سيأتي في الفقرة القادمة توضيح ذلك ومن هذه الشروط :

I- ان يكون الاسم في إطلاقه مقتضياً للمدح والثناء بنفسه ولذلك أخذوا أسماء بطريق الاشتقاق والإضافة .

II- بما أن الأسماء جميعها مشتقة من الصفات فان من شرط إطلاق الاسم من الصفة أن تكون الصفة في حال إطلاقها غير منقسمة إلى كمال ونقص .

المرجع السابق ص 126

تحديد ضابط الأسماء الحسنى

لعل أنسب تعريف للأسماء الحسنى هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية فيها : (الأسماء الحسنى المعروفة : هي التي يدعى الله بها ، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة ، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها)

وهذا التعريف هو أصلح وأفضل تعريف للأسماء الحسنى وذلك :

أولاً : لموافقته للنص الشرعي ، ولعل شيخ الإسلام ابن تيمية استقاه من قوله تعالى { ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها } .

فقوله في التعريف : (هي التي يدعى بها) مأخوذ مـن قولـه تعالى : { فادعوه بها } [الأعراف : 180]

وقولـه : (هي التـي وردت في الكتاب والسنة) مأخـوذ من قولـه : { الأسماء } (فالألف واللام هنا للعهد ، فالأسماء بذلك تكون معهودة ولا معروف في ذلك إلا ما نص الله عليه في كتابه أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم (1)

وقوله (وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها) مأخوذ من قوله تعالى : { الحسنى } فالحسنى تأنيث الأحسن ، والمعنى أن أسماء الله أحسن الأسماء وأكملها ، (فما كان مسماه منقسماً إلى كمال ونقص وخير وشر لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنى) (2)

وبهذا يتضح لك أن ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريف الأسماء الحسنى هو مطابق لما ذكره الله في كتابه العزيز وهذا وحده يكفي في اختيار هذا التعريف 0

---

(1) المحلى لابن حزم 1/29

(2) مدارج السالكين 3/415،416

ثانياً : مما يؤكد صحة هذا التعريف اشتماله على شرطين للاسم هما :

الشرط الأول : ورود النص من القرآن أو السنة بذلك الاسم 0

والشرط الثاني : صحة الاطلاق وذلك أن يقتضي الاسم المدح والثناء بنفسه 0

وهذان الشرطان يحققان للتعريف مقوماته بأن يكون جامعاً لجوانب الشيء ومانعاً من دخول غيره

فيه فالشرط الأول يؤكد على كون أسماء الله توقيفية وأنه لا يجوز استعمال القياس فيها 0
والشرط الثاني يؤكد على خاصية باب الأسماء وأنه أخص من باب الصفات وباب الإخبار 0

ثانياً : تقرير أن أسماء الله أعلام وأوصاف (1) :

اعلم أن دلالة هذه الأسماء الحسنى على صفات الله لا تنافي علميتها الدالة على ذاته إذ أن صفاته مختصة به لا يشركه أحد سواه فهي في خصوصيتها هذه أشبهت العلم في دلالته على تعيين الذات فكان كل منهما مختصاً به تعالى وهذا خلاف ما يعلم من أسماء العباد فإن العلم فيهم يضاد الوصف من كل وجه وجماع ذلك يرجع لأمرين : –
*أحدهما : لغوى وهي أن أسماء الأعلام إما أن تكون مشتقة أو مرتجلة فأما المرتجلة فالأمر فيها واضح

فهي جوامد وأما المشتقة منها فإنها لما طرأت عليها العلمية جردت عن الدلالة على الأوصاف وإنما سميت مشتقة عرفاً نحوياً نظراً لأصلها لا لما هي عليه فرجع الأمر إلى الجمود في أسمائهم والمصدر هو الأصل في الاسم وهو من الجوامد والجامد نقيض المشتق والصفة لا تكون إلا مشتقة ولذا لا يقع المصدر عند النحويين وصفاً لغيره لعدم دلالته على الوصفية لتوغله في الجمود فتبين بذلك أن علميتهم تنافي وصفيتهم من هذا الوجه 0

الثاني : وهو شرعي عقدي فإن صفات العباد مشتركة بينهم فالأمانة مثلاً لا تختص بفرد من أفراد بنى آدم وهكذا الشجاعة والكرم والصدق فإن هذه الصفات يتماثل فيها أفرادها فما من شخص إلا وله نظير فيما اتصف به وهذا المعنى يضاد العلمية فيهم فإنها مختصة لا تقبل الشركة إذ العلم من شرطه أن يعين مسماه مطلقاً وما لا يتعين فيه لا يكون كذلك فبان بذلك أن علميتهم تنافي وصفيتهم من هذا الوجه .

---

(1) هذا المبحث مأخوذ من القواعد الكلية للصفات للبريكان بتصرف مع إضافة عليه .

ومما تقدم يتبين لنا خطأ ابن حزم من الظاهرية وضلال المعتزلة القائلين : بأن أسماء الله أعلام محضة جامدة لا دلالة لها على الوصفية البتة واعلم أن أسماء الله لو لم تدل على الوصفية المختصة به للزم من ذلك عدة أمور :-

1- أن أسماء الله لو كانت جامدة لا تدل على معنى الوصفية لم تكن حسنى لكنها حسنى فلابد من دلالتها على الوصفية 0

2- أن من أسماء الله اسمه الأعظم ولو لم يدل على وصف حسن ومعنى كمال لائق بجلال الله وعظمته لم يكن لقيد العظمة فائدة فلم يكن أعظم إذ هو أفضل الأسماء الحسنى وهو منها فتكون دلالته على الوصف أكمل

3- قال تعالى : (ولله الأسماء الحسنى) [الأعراف : 180] فأثنى بها على نفسه وتمدح بها والجامد لا مدح فيه ولا دلالة له على الثناء فلابد وأن تكون دالة على الوصفية 0

4- يلزم من كونها جامدة عدم تغاير معانيها فمعنى العليم هو معنى السميع مثلاً وهذا أمر يعرف فساده ببداهة العقول إذ لا يعقل عاقل أن معنى الرؤوف هو معنى البصير ولازم القول يدل على فساده وإن لم يدل على لزومه للقائل إذا هو لم يتبين اللازم 0

5- أن الوصفية من لوازم الاسم المشتق وأسماء الله مشتقة من صفاته فهي تحمل دلالتها على الذات بالعلمية وعلى الصفة بالأصل كما أن ضارب يدل على ذات الضارب وعلى صفة الضرب فكذلك الأسماء : سميع يدل على صفة السمع وبصير يدل على صفة البصر 0

6- أن التنزيل جاء باستعمال الأسماء الحسنى تابعة للفظ الجلالة على أنها صفات له وهذا ليس من شأن الأعلام كما قال تعالي : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى : 11] وقـوله (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيـب والشهادة هـو الرحمن الرحيم)

[الحشر :22]

ومما تقدم يتضح أن النسب المعقولة بين الأسماء هي :-

1- الترادف ومحله دلالة العلم الخاص به تعالى على ذاته جل وعلا

2- التباين ومحله دلالة الاسم المتضمن على صفته سبحانه وتعالى

وبتطبيق هذا الأصل على أجزائه وأفراده يتبين المراد ويتضح المعنى المطلوب فأسماء الله الحكيم والبصير والعليم يدل على كل منها على

الذات بالعلمية وعلى الصفة التى اشتق منها بالوصفية فالحكيم يدل على ذات موصوفة بالحكمة والبصير يدل على ذات موصوفة بالبصر والعليم يدل على ذات موصوفة بالعلم وعند النظر نجد أن الذات المدلول عليها بالأسماء واحدة وهي ذاته العلية ، وأن الصفات المدلول عليها بهذه الأسماء قد اختلفت فكل اسم دل على صفته الموافقة له في مادة التصريف وذلك الاتفاق في الذات هو الترادف إذ لا معنى له الا اتفاق أفراده في الدلالة على شيء واحد وهذا الاختلاف والتغاير هو التباين إذ لا معنى للتباين إلا عدم التقاء الألفاظ في معنى من المعاني فاسمه الحكيم هو البصير هو العليم هو الحكيم بالنظر إلى ذاته تعالى والحكيم غير البصير والبصير غير العليم غير الحكيم بالنظر إلى ما يدل عليه كل واحد منها من الصفة الخاصة به ونظير هذا أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم فإنها تدل على معنى واحد ومعانيها مختلفة فنتج من ذلك :-

1- أن هذه الأسماء مترادفة في الدلالة على الذات

0

2- أن هذه الأسماء متباينة في الدلالة على الصفات 0

3- أن النسبة المعقولة بين هذه الأسماء هى الترادف والتباين 0

4- أن محل الترادف هو الذات 0

5- أن محل التباين هو الصفات المختصة بكل اسم .

6- أنه لا تناقض بينها والحالة هذه

7- أن النظرتين مبنيتان على دلالة الأسماء الحسنى على العلمية والوصفية وتضمنها الدلالة على أحدهما 0

8- أن لحظ العلمية والوصفية مع الترادف والتباين لا يشكل تناقضاً في هذه القاعدة لاختلاف جهة كل واحد منهما 0

9-أنه لا يجوز إطلاق القول بتباين الأسماء أو ترادفها بل لا بد من التفصيل في ذلك ونسبة كل من النسبتين إلى متعلقها 0

10-أن الاطلاق يلزم منه الوقوع في باطل إما بالقول بعلمية الأسماء المحض أو إنكار الأسماء أصلاً 0

11-أن تعدد هذه الأسماء الحسنى لا يستلزم تعدد الذات لكنه يقضي بتعدد الصفات التي تدل عليها الأسماء 0

ثالثاً معاني الذات :

ذكر المؤلف كلمة الذات كما سبق وقلنا إن لها معاني حسب أصل الكلمة وهي :

1- إما أن تكون (ذات) مؤنث ذو الذي هو بمعنى صاحب فتكون ألفها مبدلة من الواو 0
وعلى هذا المعنى وقعت (ذات) مضافة إلى الجهات ، وإلى الأزمان وإلى غيرهما ، وتجرى مجرى الصفة لموصوف يدل عليه السياق مثل :

I- قوله تعالى { ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال } في سورة الكهف على تأويل جهة 0

II- نقول : لقيته ذات ليلة وذات صباح على تأويل المقدر ساعة أو وقت و جرت مجرى المثل في ملازمتها هذا الاستعمال 0

ج - ومن أمثلة استخدامها بمعنى صاحبة قولنا : امرأة ذات مال أي صاحبة مال 0

2- ويجوز أن تكون ذات أصلية الألف كما يقال : أنا أعرف ذات فلان فالمعنى : حقيقة الشيء وماهيته كقول الشاعر :

وذلك في ذات الإله وإن يشأ *** يبارك على أوصال شلو ممزع

وهو أحد القولين في تفسير قوله تعالى { وأصلحوا ذات بينكم } كما ذكره أبو جعفر النحاس فـي معانـي القــرآن (3/129) ،

وابـن عاشور في تفسيره (9/253) إلا أن هذا محمول على المجاز (1) لا على حقيقة الذات التي هي ما يقابل الصفة ويرادف النفس إلا أن الاستعمال العرفي صار أن الذات تساوي النفس ونص الراغب في المفردات (1/242) أن ذلك ليس من كلام العرب ونقله السمين الحلبي في عمدة الحفاظ (2/54) 0

وذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد من قوله تعالى { وأصلحوا ذات بينكم } أي حال بينكم كما ذكره الشهاب على البيضاوي (4/431) ، والخازن في تفسيره (2/290) ، والجاوي في تفسيره المسمى

بمراح لبيد (1/314) وانظر مجمع بحار الأنوار للكجراتي (2/252) ، وكشاف اصطلاح الفنون للتهانوي (2/163) ، وانظر الخلاف في تفسيره بالحقيقة والحال في مجمع البيان للطبرسي (4/426)

وتطلق الذات بمعنى التي على لغة طي كما قال ابن مالك :

وكالتي أيضاً لديهم ذات

---

(1) عرف الشيخ ابن عثيمين في كتابه الأصول ص 25 المجاز بأنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له .

وللناس في المجاز قولان :

I- ثبوته

II- نفيه وهو اختيار شيخ الإسلام وتلميذه الإمام ابن القيم وسماه طاغوتاً كما في الصواعق ومختصره وأول من قال بانكاره هو الاسفرائيني .

ملاحظة : نسب بعض الفضلاء المعاصرين إلى الشنقيطي القول بثبوت المجاز في اللغة وانكاره في القرآن وهذا يخالف ما ذكره في رسالته منع جواز المجاز المطبوع مع أضواء البيان (10/8) حيث قال : أما على القول بأنه لا مجاز في اللغة أصلاً وهو الحق فعدم المجاز في القرآن واضح ا0هـ .

وانظر رسالة المجاز في اللغة والقرآن الكريم د 0 عبد العظيم المطعني وامتاع العقول بروضة الأصول لعبد القادر الحمد ص 27 .

وننقل ما قاله الشيخ ابن عثيمين في شرحه لصحيح البخاري وهو مخطوط ص 67 :

أما الذات فالذات كلمة اختلف فيها علماء اللغة هل هي فصيحة من العربية أو هي مولدة وليست بعربية ؟ وأكثر المحققين على أنها مولدة وليست من العربية في شيء وإنما هي من مصطلح أهل الكلام (1) جعلوها بدلاً عن كلمة النفس فيقول مثلاً جاء زيد نفسه أو جاء زيد ذاته يجعلونها بدلاً عنها ولكنها ليست من كلام العرب العرباء كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لأن اصلها في اللغة لا تستعمل بمعنى النفس وهي في اللغة العربية تستعمل استعمالات متعددة منها :-

1- أن تكون بمعنى صاحبة كما لو قلت تزوجت امرأة ذات علم أي صاحبة علم ويقابلها في المذكر ذو علم لو قلت اتصل بي رجل ذو علم أي صاحب علم 0

2- تستعمل بمعنى التي عند طيه ، طى أصحاب الشمال ، جبل طى ،يجعلون الذات بمعنى التي كما يجعلون ذو بمعنى الذي وعليه قول الشاعر :

فإن الماء ماء أبي وجدي **** وبئري ذو حفرت وذو طويت

أي بئري الذي حفرت والذي طويت ويقال جاءت ذات أرضعت ولدها أي التي أرضعت ولدها 0

---

(1) قال المحبي في كتابه قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (2/51) نقلاً عن ابن برهان انه لا يصح إطلاق ذات على الله وان هذا جهل من المتكلمين 0
وقال النووي في تهذيب اللغات (2/113) ان هذا الإنكار منكر بل الذي قاله المتكلمون صحيح ا 0هـ

3- تأتي بمعنى جهة ومن ذلك قوله تعالى { ونقلبهم ذات اليمن وذات الشمال } أي جهة اليمين وجهة الشمال ويمكن أن يحمل عليها قول خبيب رضي الله عنه وذلك في ذات الإله وقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو قول النبي صلى الله عليه وسلم في إبراهيم كذب ثلاث كذبات في ذات الله أي في جهته والمراد في سبيله وطاعته فتكون بمعنى الجهة 0

4- ان تكون زائدة للتوكيد توكيد التنكير مثل قدمنا مكة ذات يوم فوجدنا المسجد خفيفاً قوله ذات يوم هذه زائدة لتوكيد التنكير فلو قلنا قدمنا مكة يوماً فوجدنا المسجد خفيفاً استقام الكلام وهذا يوجد كثيراً في الحديث خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم ذات ليلة وما أشبه ذلك 0

هذه أربعة معان للذات في اللغة العربية أما ذات بمعنى نفس الشيء وحقيقة فهذه اختلف فيها علماء اللغة العربية فمنهم من أنكر استعمالها في هذا المعنى ومنهم من أجازها وظاهر صنيع البخاري رحمه الله جواز استعمالها بمعنى النفس فإذا قال قائل ما العلاقة بين هذا الاستعمال وبين المعنى الأصلي في اللغة العربية ؟ قلنا المعنى الأصلي في اللغة العربية أن تأتي بمعنى صاحبة فهم يقولون ذات علم أي صاحبة علم والله تعالى ذو علم فأصلها مضارع لكن حذف المضاف ثم بقيت نكرة فعرفت بأل ولهذا

منع بعض العلماء أن تقول ذات بالنسبة لله (1) ، لماذا ؟ لأن التاء

للتأنيث ولا يجوز استعمال الكلمة المؤنثة بالتاء ولو للمبالغة ولهذا لا يجوز أن تقول إن الله علامة ويجوز أن تقول إن هذا الرجل علامة أما الله فتقول علام الغيوب فأنت إذا أتيت بذات تريد الرب عز وجل فإن هذا يعني تأنيث ما يضاف إلى الله وهذا لا يجوز لكن هذا خلاف استعمال جمهور علماء المحققين 0

(1) وهو قول ابن برهان كما نقله المحبي في قصد السبيل (1/51)

رابعاً : حجة المعطلة والرد عليها

ذكرنا في الحاشية على القاعدة الثانية أن الذين سلبوا معاني الصفات هم المعتزلة ومن تبعهم من أهل الكلام وغيرهم وطريقتهم أنهم يثبتون لله تعالى الأسماء دون الصفات ويجعلون الأسماء أعلاماً محضة ثم منهم من يقول إنها مترادفة فالعليم ، والقدير والسميع والبصير شيء واحد ومنهم من يقول إنها متباينة ولكنه عليم بلا علم

وقدير بلا قدرة سميع بلا سمع بصير بلا بصر ونحو ذلك 0

وشبهتهم أنهم اعتقدوا أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه لأنه لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم والأجسام متماثلة فإثبات الصفات يستلزم التشبيه 0

والرد عليهم من وجوه :

الأول : أن الله تعالى سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات فإن كان إثبات الصفات يستلزم التشبيه فإثبات الأسماء كذلك وإن كان إثبات الأسماء لا يستلزم التشبيه فإثبات الصفات كذلك والتفريق بين هذا وهذا تناقض

فإما أن يثبتوا الجميع فيوافقوا السلف وإما أن ينفوا الجميع فيوافقوا غلاة الجهمية والباطنية وإما أن يفرقوا فيقعوا في التناقض 0

الثاني : إن الله تعالى وصف أسماءه بأنها حسنى وأمرنا بدعائه بها فقال : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) [الأعراف : 180] وهذا يقتضي أن تكون دالة على معاني عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا ولا يصح خلوها عنها 0

ولو كانت أعلاماً محضة لكانت غير دالة على معنى سوى تعيين المسمى فضلاً عن أن تكون حسنة ووسيلة في الدعاء 0

الثالث : أن الله تعالى أثبت لنفسه الصفات إجمالاً وتفصيلاً مع نفي المماثلة فقال تعالى : (ولله المثل الأعلـى) [النحل : 6] وقـال : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[الشورى : 11] وهذا يدل على أن إثبات الصفات لا يستلزم التمثيل ولو كان يستلزم التمثيل لكان كلام الله متناقضاً.

الرابع : إن من لا يتصف بصفات الكمال لا يصلح أن يكون ربا ولا إلهاً ولهذا عاب إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه باتخاذ ما لا يسمع ولا يبصر إلهاً فقال : (يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) [مريم : 42] .

الخامس : أن كل موجود لابد له من صفة ولا يمكن وجود ذات مجردة من الصفات وحينئذ لابد أن يكون الخالق الواجب الوجوب متصفاً بالصفات اللائقة به .

السادس : أن القول " بأن أسماء الله أعلام محضة مترادفة لا تدل إلا على ذات الله فقط " قول باطل لأن دلالات الكتاب والسنة متظافرة على أن كل اسم منها دال على معناه المختص به مع اتفاقها

على مسمى واحد وموصوف واحد فالله تعالى هو الحي القيوم السميع البصير العليم القدير فالمسمى والموصوف واحد والأسماء والصفات متعددة ألا ترى أن الله تعالى يسمي نفسه باسمين أو أكثـر في موضع واحـد كقولـه (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) [الحشر : 23] فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفاً محضاً لكان ذكرها مجتمعة لغواً من القول لعدم الفائدة 0

السابع : أن القول " بأن الله تعالى عليم بلا علم وقدير بلا قدرة وسميع بلا سمع ونحو ذلك " قول باطل مخالف لمقتضى اللسان العربي وغير العربي فإن من المعلوم في لغات جميع العالم أن المشتق دال على المعنى المشتق منه وأنه لا يمكن أن يقال عليم لمن لا علم له ولا قدير لمن لا قدرة له ولا سميع لمن لا سمع له ونحو ذلك 0

وإذا كان كذلك تعين أن تكون أسماء الله تعالى دالة على ما تقتضيه من الصفات اللائقة به فيتعين إثبات الأسماء والصفات لخالق الأرض والسموات 0

الثامن : أن قولهم :لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم ممنوع فإننا نجد من الأشياء ما يصح أن يوصف وليس بجسم فإنه يقال : ليل طويل ونهار

قصير وبرد شديد وحر خفيف ونحو ذلك وليست هذه أجساما على أن إضافة لفظ الجسم إلى الله تعالى إثباتاً أو نفياً من الطرق البدعية التي يتوصل بها أهل التعطيل إلى نفي الصفات التي أثبتها الله لنفسه 0

التاسع : أن قولهم : " الأجسام متماثلة " باطل ظاهر البطلان فإن تفاوت الأجسام ظاهر لا يمكن إنكاره ا 0هـ من تقريب التدمرية للشيخ ابن عثيمين 0

ومما سبق يتبين أمور :

أولاً : وجوب إثبات الأسماء والصفات وأنه الحق الذي هو أصل الإيمان بوجود الرب عز وجل وحقيقته 0

ثانياً : أن حقيقة من لا يؤمن بأسماء الله وصفاته أنه لا يؤمن برب مقصود ولا بإله معبود 0

ثالثاً : أن صفات الرب عز وجل من مكونات ذاته 0

رابعاً : أن الذات ليست صفة لله ولا اسما من أسمائه واستعمالها في باب الخبر عنه تعالى يراد به إثبات ما تدل عليه من مدح وثناء وهو كون الرب جل شأنه موصوفاً بالصفات 0

خامساً : أن من نفى الصفات لم يقدر الله حق قدره

سادساً : أن الذات المجردة عن الصفات لا حقيقة لها

سابعاً :أن التعطيل شر من الشرك لأن المعطل جاحد للذات أو لكمالها وهو جحد لحقيقة الألوهية

ثامناً : أن الفروض الذهنية التجريدية لا توجد في خارج الذهن بل وجودها في العيان مستحيل ا0هـ من القواعد الكلية للصفات للبريكان بتصرف 0

ذكرنا أن الدهـر ليس من أسماء الله وننقل نص فتـوى ابن تيمية فـي مجموع الفتاوى (2/491) :

سئل شيخ الإسلام رحمه الله : عن قوله صلى الله عليه وسلم : "لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر فهل هذا موافق لما يقوله الاتحادية : بينوا لنا ذلك ؟

فأجاب : –
الحمد لله قوله لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر : مروى بألفاظ أخر كقوله : " يقول الله : يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار ، وفي لفظ : "لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر ، يقلب الليل والنهار :" وفي لفظ : " يقول ابن آدم يا خيبة الدهر وأنا الدهر "
فقوله في الحديث " بيدي الأمر أقلب الليل والنهار " يبين أنه ليس المراد به أنا الزمان فإنه قد أخبر أنه يقلب الليل والنهار والزمان هو الليل والنهار : فدل نفس الحديث على أنه هو يقلب الزمان ويصرفه كما دل عليه قوله تعالى : (ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ، يقلب الله الليل والنهار ، إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) وإزجاء السحاب سوقه والودق المطر 0
فقد بين سبحانه خلقه للمطر وإنزاله على الأرض فإنه سبب الحياة في الأرض فإنه سبحانه جعل من الماء كل شيء حي ، ثم قال : " يقلب الله الليل والنهار " إذ تقليبه الليل والنهار : تحويل أحوال

العالم بإنزال المطر ، الذي هو سبب خلق النبات والحيوان والمعدن ، وذلك سبب تحويل الناس من حال إلى حال ، المتضمن رفع قوم وخفض آخرين 0
وقد أخبر سبحانه بخلقه الزمان في غير موضع كقوله : (وجعل الظلمات والنور) وقوله : (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) وقوله : (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً) وقوله : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) و غير ذلك من النصوص التي تبين أنه خالق الزمان 0
ولا يتوهم عاقل أن الله هو الزمان فإن الزمان مقدار الحركة والحركة مقدارها من باب الأعراض والصفات القائمة بغيرها : كالحركة والسكون والسواد والبياض 0
ولا يقول عاقل أن خالق العالم هو من باب الأعراض والصفات المفتقرة إلى الجواهر والأعيان ، فإن الأعراض لا تقوم بنفسها ، بل هي مفتقرة إلى محل تقوم به ، والمفتقر إلى ما يغايره لا يوجد بنفسه ، بل بذلك الغير فهو محتاج إلى ما به في نفسه من غيره فكيف يكون هو الخالق ؟

ثم أن يستغني بنفسه ، وأن يحتاج إليه ما سواه ، وهذه صفة الخالق سبحانه ، فكيف يتوهم أنه من النوع الأول 0 وأهل الإلحاد – القائلون بالوحدة أو الحلول أو الاتحاد – لا يقولون أنه هو الزمان ، ولا أنه من جنس الأعراض والصفات ، بل يقولون هو مجموع العالم ، أو حال في مجموع العالم 0

فليس في الحديث شبهة لهم ، لو لم يكن قد بين فيه انه – سبحانه –

مقلب الليل والنهار ، فكيف وفي نفس الحديث أنه بيده الأمر يقلب الليل والنهار 0

إذا تبين هذا : فللناس في الحديث قولان معروفان لأصحاب أحمد وغيرهم 0

أحدهما : وهو قول أبي عبيد وأكثر العلماء أن هذا الحديث خرج الكلام فيه لرد ما يقوله أهل الجاهلية ، ومن أشبههم ، فإنهم إذا أصابتهم مصيبة أو منعوا أغراضهم أخذوا يسبون الدهر والزمان ، يقول أحدهم قبح الله الدهر الذي شتت شملنا ، ولعن الله الزمان الذي جرى فيه كذا وكذا 0

وكثيراً ما جرى من كلام الشعراء وأمثالهم نحو هذا ، كقولهم : يا دهر فعلت كذا . وهم يقصدون سب من فعل تلك الأمور ، ويضيفونها إلى الدهر ، فيقع السب على الله تعالى : لأنه هو الذي فعل تلك

الأمور وأحدثها والدهر مخلوق له ، هو الذي يقلبه ويصرفه 0

والتقدير : أن أبن آدم يسب من فعل هذه الأمور وأنا فعلتها فإذا سب الدهر فمقصوده سب الفاعل وإن أضاف الفعل إلى الدهر ، فالدهر لا فعل له ، وإنما الفاعل هو الله وحده 0

وهذا كرجل قضى عليه قاض بحق أو أفتاه مفت بحق ، فجعل يقول : لعن الله من قضى بهذا أو أفتى بهذا ، ويكون ذلك من قضاء النبي صلى الله عليه وسلم وفتياه فيقع السب عليه ، وإن كان الساب – لجهله – أضاف الأمر إلي المبلغ في الحقيقة ، والمبلغ له فعل من التبليغ بخلاف الزمان فإن الله يقلبه ويصرفه 0

والقول الثاني : قول نعيم بن حماد ، وطائفة معه من أهل الحديث

والصوفية : إن الدهر من أسماء الله تعالى ومعناه القديم الأزلي

ورووا في بعض الأدعية : يا دهر !! يا ديهور!! يا ديهار وهذا المعنى صحيح : لأن الله سبحانه هو الأول ليس قبله شيء ، وهو الآخر ليس بعده شيء فهذا المعنى صحيح إنما النزاع في كونه يسمى دهراً بكل حال فقد اجمع المسلمون – وهو مما علم

بالعقل الصريح – أن الله سبحانه وتعالى ليس هو الدهر الذي هو الزمان ، أو ما يجرى مجرى الزمان فإن الناس متفقون على أن الزمان الذي هو الليل والنهار 0

وكذلك ما يجرى ذلك مجرى ذلك في الجنة ، كما قال تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً) قالوا على مقدار البكرة والعشـى فـي الدنيا و [في] الآخرة يوم الجمعة يوم المزيد والجنة ليس فيها شمس ولا قمر ولكن تعرف الأوقات بأنوار أُخر ، قد روى أنها تظهر من تحت العرش ، فالزمان هنالك مقدار الحركة التي بها تظهر تلك الأنوار 0

وهل وراء ذلك جوهر قائم بنفسه سيال هو الدهر ؟ هذا مما تنازع فيه الناس فأثبته طائفة من المتفلسفة من أصحاب أفلاطون ، كما أثبتوا الكليات المجردة في الخارج التي تسمى المثل الأفلاطونية (1)

---

(1) المثل الأفلاطونية هي أكثر المذاهب الفلسفية شيوعاً وهي حقائق كلية ثابتة موجودة بالفعل فى رأى أفلاطون – وجوداً خارجياً في عالم غير محسوس وأنه هو الأصل وأما الأشياء الموجودة مجرد صور أو صدى لهذه المثل 0

انظر مدخل إلى الفلسفة د 0 إمام عبدالفتاح ص 254 ، الفكر الفلسفي د 0 محمد نصار ص 97 0

والمثل المطلقة وأثبتوا الهيولى (1) التي هي مادة مجردة عن الصور وأثبتوا الخلاء جوهراً قائماً بنفسه 0

وأما جماهير العقلاء من الفلاسفة وغيرهم : فيعلمون ان هذا كله لا حقيقة له في الخارج ، وإنما هي أمور يقدرها الذهن ويفرضها فيظن الغالطون أن هذا الثابت في الأذهان هو بعينه ثابت في الخارج عن الأذهان كما ظنوا مثل ذلك في الوجود المطلق ، مع علمهم أن المطلق بشرط الإطلاق وجوده في الذهن وليس في الخارج إلا شيء معين وهى الأعيان ، وما يقوم بها من الصفات فلا مكان إلا الجسم أو ما يقوم به ، ولا زمان إلا مقدار الحركة ، ولا مادة مجردة عن الصور بل ولا مادة مقترنة بها غير الجسم الذي يقوم به الأعراض ، ولا صورة إلا ما هو عرض قائم بالجسم أو ما هو الجسم يقوم به العرض وهذا وأمثاله مبسوط في غير هذا الموضع ا 0هـ 0

ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي في غريب الحديث (2/145)

قوله : إن الله هو الدهر وهذا لا ينبغي لأحد من أهل الإسلام أن يجهل وجهه وذلك أن أهل التعطيل

يحتجون به على المسلمين وقد رأيت بعض من يتهم بالزندقة والدهرية يحتج بهذا الحديث ويقول : ألا تراه يقول : فإن الله هو الدهر ! فقلت : وهل كان أحد يسب الله في آباد الدهر ؟

---

(1) الهيولى :

في كلام المتكلمين : أصل الشيء ، فإن يكن من كلام العرب فهو صحيح الاشتقاق ووزنه فيعولى ، أولاً – الصواب أنه لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة وفي الاصطلاح : جوهر في الجسم قابل لما يعرض له من الاتصال والانفصال ا0هـ من المزهر للسيوطي (1/277) 0، وشرح التدمرية لفالح آل مهدي .

و تاويله عندى – والله أعلم – أن العرب كان شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر ، وأبادهم الدهر ، وأتى عليهم الدهر ، فيجعلونه الذي يفعل فيذمونه عليه ، وقد ذكروه في أشعارهم قال الشاعر يذكر قوماً هلكوا :

فاستأثر الدهر *** والدهر يرميني ولا أرمى *** الغداة بهم

يا دهر قد أكثرت *** بسراتنا ووقرت في العظم *** فجعتنا

وسلبتنا ما لست يا دهر ما أنصفت في

تعقبنا الحكم

وقال عمرو بن قميئة :

رمتى بنات الدهر من * فكيف بمن يرمي
حيث لا أرى * وليس برام
فلو أنها نبل إذاً لاتقيتها * ولكنما أرمي بغير
على الراحتين مرة على * سهام
العصا * أنوء ثلاثاً بعدهن
* قيامي

فأخبر أن الدهر فعل به ذلك نصف الهرم 0 وقد أخبر الله تعالى بذلك عنهم في كتابه الكريم ثم كذبهم بقولهم فقال (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) وقال الله عز وجل (وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر – على تأويل لا تسبوا الذي يفعل لكم هذه الأشياء ويصيبكم بهذه المصائب فإنكم إذا سببتم فاعلها فإنما يقع السب على الله تعالى لأنه عز وجل هو الفاعل لها لا الدهر فهذا وجه الحديث إن شاء الله

ولإتمام الفائدة ننقل ما سئل عنه الشيخ ابن عثيمين فيما يتعلق بهذا الحديث :

سئل الشيخ غفر الله له : عن قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي قال الله تعالى " يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار " ؟

فأجاب قائلاً :

قوله في الحديث المشار إليه في السؤال : " يؤذيني ابن آدم " أي أنه سبحانه يتأذى بما ذكر في الحديث ، لكن ليست الأذية التي أثبتها الله لنفسه ليست كأذية المخلوق ، بدليل قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى : 11] فقدم نفى المماثلة على الإثبات لأجل أن يرد الإثبات على قلب خال من توهم المماثلة ويكون الإثبات حينئذ على الوجه اللائق به تعالى ، وأنه لا يماثل في صفاته ، كما لا يماثل في ذاته ، وكل ما وصف الله به نفسه ليس فيه احتمال للتمثيل ، إذ لو أجزت احتمال التمثيل في كلامه سبحانه وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفات الله لأجزت احتمال الكفر في كلام الله سبحانه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم لأن تمثيل صفات الله

تعالى بصفات المخلوقين كفر لأنه تكذيب لقوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى : 11]

وقوله " وأنا الدهر " أي مدبر الدهر ومصرفه كما قال الله تعالى : (وتلك الأيام نداولها بين الناس) [آل عمران : 140] كما قال في هذا الحديث " أقلب الليل والنهار " والليل والنهار هو الدهر 0

ولا يقال : بأن الله نفسه هو الدهر ، ومن قال ذلك فقد جعل المخلوق خالقاً والمقَّلب مقلِّباَ

فإن قيل أليس المجاز ممنوعاً في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وفي اللغة ؟

أجيب :

بلى ، ولكن الكلمة حقيقة في معناها الذي دل عليه السياق والقرائن ، وهنا في الكلام محذوف تقديره " وأنا مقلب الدهر " لأنه فسره بقوله " أقلب الليل والنهار " ولأن العقل لا يمكن أن يجعل الخالق الفاعل هو المخلوق المفعول 0

سئل الشيخ : هل الدهر من أسماء الله ؟

فأجاب بقوله :

الدهر ليس من أسماء الله سبحانه وتعالى ، ومن زعم ذلك فقد أخطأ وذلك لسببين :

السبب الأول : أن أسماءه سبحانه وتعالى حسنى ، أي بالغة في الحسن أكمله ، فلابد أن تشتمل على وصف ومعنى هو أحسن ما يكون من الأوصاف والمعاني في دلالة هذه الكلمة ، ولهذا لا تجد في أسماء الله تعالى اسما جامداً والدهر اسم جامد لا يحمل معنى إلا أنه اسم للأوقات 0

السبب الثاني : أن سياق الحديث يأبى ذلك ، لأنه قال: " أقلب الليل والنهار " والليل والنهار هما الدهر فكيف يمكن أن يكون المقلب بفتح اللام – هو المقلب – بكسر اللام – ؟!

سئل فضيلة الشيخ : ما حكم سب الدهر ؟

فأجاب قائلاً :

سب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أن يقصد الخبر المحض دون اللوم فهذا جائز مثل أن يقول تعبنا من شدة الحر هذا اليوم ، أو برده وما أشبه ذلك لأن الأعمال بالنيات واللفظ صالح لمجرد الخبر 0

القسم الثاني : أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل ، كأنه يقصد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير أو الشر فهذا شرك أكبر لأنه اعتقد أن مع الله خالقاً حيث نسب الحوادث إلى غير الله

القسم الثالث : أن يسب الدهر وهو يعتقد أن الفاعل هو الله ولكن يسبه لأنه محل هذه الأمور المكروهة فهذا محرم لأنه مناف للصبر الواجب وليس بكفر لأنه ما سب الله مباشرة ولو سب الله مباشرة لكان كافراً 0